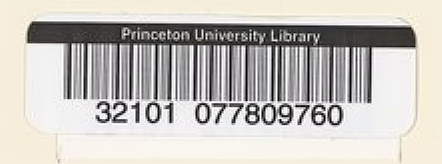



Princeton University Library
32101 077809760

Injīl Barnabā

انجيل برنابا

تفكهة في معرض الدين

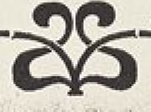
مجموعة فصول انتقادية مبنية على حقائق راهنة تفند
اقوال هذا «الانجيل» وتدحض دعاويه

(نقلاً عن مجلة الشرق والغرب)

صدر من المكتبة الانكليزية

« طبعة ثالثة »

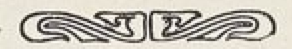
طبع بمطبعة النيل المسيحية بشارع المناخ نمرة ٣٧ بمصر
سنة ١٩٢٤



انجيل برنابا

الى القاريء !

هذه سلسلة مقالات نشرت تباعاً في مجلة «الشرق والغرب» باللغتين العربية والانكليزية وهي تبحث في تاريخ «انجيل برنابا» الذي ظهر حديثاً ولهجت به السنة القوم وتبين موضعه من الحقيقة. وقد اضطررنا الى الكتابة عنه مكرهين لا مخيرين لعلمنا انه من الكتب الملفقة التي لا يجب الاهتمام بها والالتفات اليها اذ الوقت اثمن من ان يضيع في مناقشات ومماحكات تافهة. ولكننا لما رأينا بعض الذين كنا نتوهمهم عقلاء قد صدقوا دعوى هذا الكتاب واهتموا به اهتماماً عظيماً لم نر بداً من اعارة صيحتهم آذاناً صاغية خدمة للحق وغيرة على الدين. فنحن نرفع هذا الكتيب الى جميع الذين يهمهم «انجيل برنابا» المذكور عسى ان يأتي بالفائدة المطلوبة والله حسبنا ونعم الوكيل



انجيل برنابا

مقدمة

ظهر حديثاً هذا «الانجيل» الايطالي مترجماً الى اللغة الانكليزية ترجمة دقيقة ومصدراً بمقدمة ضافية الاذيال عن تاريخ هذا المؤلف وطريقة اكتشافه وما يحتويه من الاقوال والتعاليم الى غير ذلك من التفاصيل التي تهم من يهمه امر هذ الكتاب

ولا يخفى ان اسم هذا «الانجيل» (لا مضمونه) قد كان معروفاً في الهند (وفي مصر ايضاً) منذ زمانٍ قديم وكثيراً ما استشهد به البعض في مجادلاتهم ومباحثهم مع انهم لم يكونوا يعرفون منه الا اسمه . وهذا يدلك على قوة حججهم وموقع اقوالهم من الحقيقة . وهم لولا ورود ذكره في مقدمة ترجمة القرآن الانكليزية للعلامة جورج سايل ما عرفوا عنه شيئاً ولا اتصل بهم ذكره . والغريب انك كثيراً ما ترى اعداء الديانة المسيحية يستشهدون به في اتهامهم النصارى بتحريف الانجيل

ويعززون به دعاويهم واقاويلهم . واننا لنأسف وايم الحق ان يتخذ اخواننا المسلمون هذا الكتاب سلاحاً في حملاتهم على النصارى وهم لا يعرفون منه الا اسمه

ويخيل الينا ان هذا «الانجيل» سيلعب في الشرق دوراً مهماً فقد ظهرت ترجماته في مصر والهند وشغل حديثه ألسنة الكثيرين ممن يهمهم الوقوف على تاريخه وحقيقته. ومما يحزن انك ترى الكثيرين ممن يجادلون في الامور الدينية يعززون اقوالهم بشواهد ليس لهم بها عهد ويتعامون عن حقائق أولية راهنة كما سترى

على ان الحق يعلو ولا يعلى عليه . ولذلك نرحب بظهور هذا الكتاب ونفسح له المجال لكي يلعب دوره السخري وينطوي كما انطوى غيره من الملفقات . ولا نشك في ان العقلاء متى وقفوا على محتوياته علموا موضعه من الحقيقة ونظروا اليه بالعين التي يستحقها

فغاية الفصول الآتية هي اماطة اللثام عن حقيقة هـذا الكتاب لكي يطلع عليه القارىء الاديب ويبني بعد ذلك حكمه عليه. وسنذكر تاريخ نسخته الايطالية المخطوطة (وهي الوحيدة)

ونبين هل هي النسخة الاصلية أم هي منقولة عن نسخة اخرى. ومتى فعلنا ذلك عمدنا الى نقد محتوياته وتعاليمه لكي يطلع عليها العام والخاص

وقبل الشروع في ذلك لا بد لنا من كلمة نبين بها معنى كلمة «انجيل» لان الكثيرين يستعملونها وهم لا يعلمون معناها الحقيقي. فمن الواجب اذاً تحديد معناها لكي يكون الجميع على بصيرة. لا سيما انه لم يكن لكلمة من كلمات اللغة ما قد كان لهذه الكلمة من النصيب في الجولان على الالسن

الفصل الاول

معنى كلمة «انجيل»

«الانجيل» كلمة معربة عن اليونانية معناها بشارة أو خبر مفرح وهي تطلق على كتاب النصارى المحتوي على البشارة المفرحة التي جاء بها يسوع المسيح الى عالم الاثم والخطية. وهذه البشارة هي ملخص ما قاله وفعله في اثناء اقامته وتجواله بين البشر . هذا هو المعنى الذي اراده هو وتلاميذه بكلمة «انجيل» (انظر مرقس ١:١٥ توبوا وآمنوا بالانجيل والمعنى «آمنوا بالبشارة المفرحة التي انا اتيكم بها» — لان «الانجيل» لم يكن قد كتب بعد)

واما في الاصطلاح فتطلق الكلمة على مجموعة المكتوبات التي اعلنت بها البشارة المذكورة للناس. وقد تطلق عموماً على الكتاب الموحى به المعروف عند النصارى بالعهد الجديد والى هذا تشير كلمة «انجيل» في القرآن. ولا بأس من هذه التسمية مع ان غاية الكنيسة الاولى كانت اطلاق اللفظة اصطلاحاً على سيرة يسوع المسيح «المربعة الاسفار» تمييزاً لها

عن بقية اسفار الكتاب الموحى به. وبناء على ذلك لا يصح اطلاق هذه الكلمة على كل من البشائر الاربع لان المراد بقولنا «انجيل متى» مثلاً هو «انجيل يسوع المسيح كما كتبه متى» وهذا حسب الاصل اليوناني. وبعبارة اخرى انه من الخطإ الفادح ان ننسب الى كلٍ من البشيرين الاربعة «انجيلاً» خاصاً. لان الحقيقة هي ان كلاً منهم كتب انجيل يسوع المسيح كما الهم واوحي اليه. اما اسماء اسفار هذه السيرة فليست جزءاً من الوحي بل هي وضعية كاسماء سور القرآن

فترى مما تقدم ان لكلمة «انجيل» ثلاثة معان مختلفة وهي: —

(١) بشارة مفرحة بحسب (المعنى الوضعي)

(٢) سيرة يسوع المسيح المربعة البشائر (بحسب الاصطلاح)

(٣) كتاب النصارى عموماً

هذا وان المسلمين والمسيحيين في مباحثاتهم معاً يشيرون غالباً الى المعنى الثالث ولكن اذا اريد استعمال هذه اللفظة في معرض البعض عن الكل او الكل عن البعض فيجب التمييز وعدم الخلط بين المعاني المختلفة

ولننظر الآن في نسبة هذه السيرة المربعة البشائر الى غيرها من سير المسيح الموجودة او المفقودة . والاخيرة تقسم الى قسمين (اولهما) السير التي ظهرت في عصر الرسل (وثانيهما) السير التي ظهرت بعد ذلك العصر

اما التي ظهرت في عصر الرسل فلا شك في انها كانت مفيدة في وقتها وان هي لم تكن على شيء من الوحي . وقد اشار اليها لوقا الرسول في ديباجة بشارته قائلا : — « إذ كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة في الامور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة الخ . » والارجح ان لوقا نقل عن هؤلاء الكتاب كثيراً مما هو مفيد ثم اهملت كتبهم بعد ذلك إذ لم يبق حاجة اليها . ولما كانت هذه المؤلفات مفقودة اليوم فلا فائدة في اطالة البحث عنها

اما المؤلفات التي ظهرت في عصر الرسل فانها دعيت «اناجيل» اي (بشائر) تقليداً للانجيل الصحيح ونسبت كذباً الى الرسل . وقد فقد اليوم معظمها ولم يبق منها الا شذرات وكانت غاية مؤلفيها ادخال بدعهم وملفقاتهم الى الكنيسة . فمن هذا القبيل الكتاب المعروف «بانجيل بطرس» وقد بقي منه

اليوم شذرات صغيرة . ومثله كتاب باسليدس المبتدع الذي ادعى انه تلقاه سراً من بطرس عن يد رجل يدعى كلوخس . ولا يخفى ان كلمة الله الحقيقية لا تنزل سراً على احد (وهذا مما يوافقنا عليه اخواننا المسلمون ايضاً) فكل كتاب يدعي صاحبه انه نزل عليه سراً لا يخرج عن حيز التلفيق والتدجيل ولحسن الحظ ان نسخة باسليدس المذكورة قد فقدت ولا نعلم هل اطلع عليها احد

هذا ما بشأن «الاناجيل» التي ظهرت في المئة الثانية للميلاد. اما «انجيل برنابا*» الذي نحن بصدده فانه لم يرد ذكره في قائمة تلك «الاناجيل» الملفقة . وهذا يزيل كل شبهة وريب بشأن تاريخه الحقيقي ويثبت انه لم يكتب في عصر الرسل ولا هو من المؤلفات القديمة

ترى ما هي العلامة التي افرز بواسطتها صحيح هذه المؤلفات من كاذبها ؟

كانت العلامة ان التي كان تاريخها يرجع الى عصر الرسل

(*) الارجح انه لم يكن في المئة الثانية انجيل يعرف بهذا الاسم وعلى فرض وجوده ايامئذ فلا يمكن ان يكون هو نفس الكتاب الذي ظهر حديثاً كما سنبين في حينه

بقيت باجماع الرأي العام . وما سوى ذلك اهمل واختفى .
فالبشائر الاربع بقيت وعاشت لانها ترجع الى عصر الرسل ولانها تحتوي على سيرة يسوع المسيح الحقيقية . وبعبارة اخرى — انها عاشت لانها كان لها حق ان تعيش

ترى هل في ذلك ما يخالف مبدأ الوحي ؟ كلا لعمر الحق . ولقد وقع للقرآن ما وقع للبشائر الاربع المذكورة من هذا القبيل فرفض بعض الآيات ودون غيرها وذلك بناء على الشهادة التي اقيمت لكل منها . وهكذا كان الواقع في جمع الانجيل فان الله الهم الكنيسة الاولى الى قبول الصحيح الذي اوحي به روحه الامين ورفض ما كان خارجاً عن حدود الوحي فجاء الانجيل الصحيح كما تراه الآن وهو يدعى ايضاً بالعهد الجديد ويشتمل على البشائر الاربع

ينتج مما تقدم انه لم يبق اليوم مجال لقبول مؤلفات جديدة وضمها الى الانجيل الحقيقي لان جمع الانجيل قد اكمل وختم عليه الذين كانوا اهلاً للختم عليه . فكما ان المسلمين يرفضون اليوم ان يزيدوا على القرآن سورة جديدة بحجة ان جمعه قد اكمل هكذا يرفض المسيحيون زيادة مؤلف جديد على الانجيل الحقيقي

واذا علمت ذلك رأيت انه لم يبق مجال لقبول «انجيل برنابا» او اي «انجيل» آخر لان امثال هذه «الاناجيل» لا يخرج عن حيز تقاليد لا يمكن التثبت من صحتها او كذبها الا بمقابلتها مع البشائر الاربع. اما «انجيل برنابا» الحديث فواضح أمره لكل ذي ذمة طاهرة وعقل منصف وثابت ان مؤلفه لم يلفقه الا بنية سيئة سيما ان التاريخ لم يكن له عهد به لا في ايام المسيح ولا في زمان محمد. فقد قضي الامر وثبت ان هذا الكتاب من الروايات التي لا يجب قراءتها الا لمجرد التفكهة. اما تسمية مؤلفه له «بانجيل برنابا» فلا يغنيه فتيلاً كما ان زيداً مثلاً لا ينتفع شيئاً اذا وضع كتاباً ودعاه سيرة يوسف إذ لا يستفاد ان المؤلف هو يوسف نفسه! واننا بكل اخلاص نؤكد لاخواننا المسلمين ان هذا هو الواقع في أمر هذا «الانجيل» الملفق وان الرجل العاقل لا يقتنع بظواهر الامور بل يضعها تحت النقد المدقق ليتثبت من صحتها او كذبها

ما تقدم يظهر لك فساد دعوى الذين يقولون ان استئثار آباء الكنيسة الاولين بحق جمع الانجيل قد جعل جميع

«الاناجيل» «البشائر» على حد سوى من حيث صحتها وكذبها.
وان دعواهم هذه خارجة عن حدود العقل السليم . وليت
شعري هل ان استئثار خالد بن ثابت وغيره بحق جمع القرآن
يؤثر في صحة آياته وسوره ؛ وهل ان الامتحان الذي اوحي به
الله الى الكنيسة الاولى للتثبت من صحة الانجيل يجعل
الاسفار التي اجتازت ذلك الامتحان والاسفار التي لم تجتزه على
حد سوى ؛ ان الذين يدعون ذلك يعرضون انفسهم لهزء العالم
وسخريته لان الله قد وهبهم عقلاً لكي يستخدموه بامانة فلم
يفعلوا ولسوف يؤدون عن ذلك حساباً في اليوم الاخير

اجل ؛ ان الانجيل الحقيقي قد اجتاز الامتحان الذي عينه
الله وليس في استطاعة أي كتاب آخر ان يجتازه وهذا المبدأ
هو الاساس المبني عليه التاريخ الصحيح ولا يسع المسلم الا ان
يسلم به راضياً ام مكرهاً إذ لا يمكنه ان ينكر ان انجيل النصارى
كان موجوداً في ايام محمد ولا هو يقدر ان يثبت ان الكتاب
الفلاني مثلاً هو الانجيل الحقيقي بخلاف الانجيل الذي يتداوله
المسيحيون اليوم. ولكم طلبنا من اخواننا المسلمين ان يبرزوا لنا
(ان كان في وسعهم) كتاباً يمكنهم ان يثبتوا انه الانجيل الحقيقي

فلم يكن نصيبنا منهم الا السكوت والاعراض . وسكوتهم انصع دليل واقطع برهان على ان انجيل النصارى الحالي هو الانجيل الذي كان على ايام محمد والكتاب الذي اوحى به الله الينا بواسطة يسوع المسيح

«فانجيل برنابا» اذاً وما يشبهه خارج عن حيز الانجيل الحقيقي ولكن لا بأس من فحص اقواله وتعاليمه وعرضها على القراء ليعلموا موضعه من الحقيقة اظهاراً للحق وازهاقاً للباطل ان الباطل كان زهوقاً

الفصل الثانى

الدلائل الخارجية على تاريخ هذا الكتاب ومؤلفه

لعلماء الانتقاد طريقتان لاثبات تواريخ المؤلفات المختلفة ومعرفة مؤلفيها الحقيقيين وهما الادلة «الخارجية» والادلة «الداخلية» [١] اما الادلة الخارجية فهي التفاصيل التي يمكن استقراؤها من مصادر شتى بوسائل مختلفة محسوسة. فالدلائل الخارجية على قدمية القرآن مثلاً هي ورود ذكره في مؤلفات قديمة عديدة واقتباس الكثيرين لآياته منذ القرن السابع الى يومنا هذا الخ الخ

اما الادلة الداخلية فهي التي يمكن استنتاجها من اقوال الكتاب نفسه ومن نوع محتوياته وصفة اسلوبه وغير ذلك من الامور التي لا بد ان يشتم منها رائحة الزمن الذي ظهرت فيه. جميع هذه الامور لا بد ان تتفق على تعيين ذلك الزمن فاما ان تثبت دعوى الكتاب ومؤلفه أو ان تكذبها

(١) اتخذ العلماء هاتين الطريقتين لان اسماء المؤلفات لا علاقة لها بتاريخ تأليفها أو باسم مؤلفيها

ولما كانت هذه القاعدة المطردة تسري على جميع الكتب والمؤلفات المختلفة وجب تسريتها على «انجيل برنابا» ايضاً فيجب النظر (اولاً) في اقدم اشارة الى هذا الكتاب (وثانياً) في محتوياته واقواله لعلها تكشف لنا اللثام عن حقيقة تاريخه

هذا هو فن الانتقاد الحقيقي . ولكنه لسوء الحظ قلما يعرفه احد في الشرق . على اننا لا نرى مندوحة عن السير بموجبه لتبيان موضع هذا الكتاب من الحقيقة وإدحاض دعوى الذين يقولون بقدميته

وسننظر في هذا الفصل في الدلائل الخارجية مبقين الفصول المقبلة للنظر في الدلائل الداخلية

(١) لا يوجد اليوم في العالم الا نسخة واحدة لهذا «الانجيل» وهي نسخة مخطوطة مكتوبة باللغة الايطالية كانت في سنة ١٧٠٩ للميلاد في حوزة رجل في امستردام يدعى «كرامر» وبعد ان تداولتها ايدٍ كثيرة انتهت الى المكتبة الامبراطورية بفينا ولا تزال هنالك الى هذا اليوم. وبناء عليه تكون سنة ١٧٠٩ اقدم تاريخ ورد فيه ذكر هذه النسخة المخطوطة . على اننا يمكننا ارجاع تاريخها الى قبل ذلك الزمن

ان اعمار نسخ الكتاب يمكن تحديدها بواسطة فحص خطها (او طبعها) ونوع تجليدها وورقها. وقد اثبت علماء الانتقاد ان خط النسخة الايطالية ونوع ورقها وتجليدها وسمة (ماركة) الورق وغير ذلك من الامور تثبت ان النسخة كتبت حوالي المئة السادسة عشرة للميلاد

على ان ذلك لا يدل على تاريخ «تأليف» الكتاب لان طبع نسخة من القرآن مثلاً في سنة ١٩٠٨ لا يدل على ان القرآن ظهر في هذه السنة. اما النسخة الايطالية المذكورة فغاية ما يقال عنها اننا لا يمكننا ان نرجع تاريخها الى ما قبل القرن السادس عشر

(٢) ولننظر في وجهة اخرى من الموضوع. ذكر العلامة جورج سايل في مقدمة ترجمته للقرآن انه كان على عهده نسخة اسبانية من «انجيل برنابا» وبما ان هذه النسخة هي مفقودة اليوم فلا مندوحة لنا عن الاعتماد على ما رواه عنها وهو كما يعرف القراء من فطاحل ثقات العلماء الذين يعوّل على اقوالهم ويؤخذ كلامهم حجة. قال ما ملخصه: جاء في الصفحة الاولى من النسخة الاسبانية ان هذه النسخة مترجمة عن الايطالية وان

مترجمها رجل مسلم يدعى مصطفى (لاحظ انه في كلتا النسختين الايطالية والاسبانية لا ذكر لنسخة عربية على الاطلاق) وجاء في مقدمتها رواية غريبة (كأنها من وضع مكتشف النسخة التي نقلت عنها النسخة الاسبانية) عن لسان راهب ايطالي يدعى «فرامارينو» ادعى انه اكتشف النسخة الاصلية في زمن البابا سقستوس الخامس (١٥٨٥—٩) وقد قال في ذلك انه عثر ذات يوم على كتاب لايرنيوس يقدح في القديس بولس ويشير الى كتاب يدعى «انجيل برنابا» فاخذ يصلي الى الله لكي يهديه الى ذلك «الانجيل» واتفق ذات يوم انه كان في مكتبة البابا سقستوس الخامس فوقع على البابا سبات عميق فاراد هو ان يلهو بالمطالعة واذ عمد الى الكتب عثر على «انجيل برنابا» بعينه فلم يكد يمالك نفسه من شدة الفرح فخبأه في ردنه ولما استيقظ البابا ودعه وانصرف بالكتاب غنيمة باردة. انتهى كلام العلامة سايل

هذه هي الرواية التي وردت في مقدمة النسخة الاسبانية المفقودة وفيها الاعتبارات الآتية :

(١) قد تكون هذه الرواية من وضع مصطفى نفسه وهو

الذي ترجم النسخة الاسبانية. اذ كيف نصدق روايته وهي لا اثر لها في نسختنا الايطالية وليس عندنا النسخة التي نقلها عنها؟ ألا يلقي ذلك الريبة في حقيقة القصة نفسها؟

(٢) ان الرواية نفسها تتضمن اموراً لا يصدقها العقل — كنوم البابا واكتشاف النسخة بالصدفة وسرقتها والهرب بها الى غير ذلك من التفاصيل التي تشبه الروايات الخيالية وقصص الف ليلة وليلة. والاغرب من ذلك نسبة الكاتب الى ايرينيوس بعض الاقوال القادحة في بولس الرسول واشارته الى «انجيل برنابا» مع ان ايرينيوس[1] كان من الموافقين على تعاليم القديس بولس كل الموافقة وفضلاً عن ذلك قال انه لا انجيل مقبول عند الله غير انجيلنا «المربع» البشائر. فكيف ننسب اليه بعد هذا القول ما هو براء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب وكيف نعزو اليه اقوالاً ما انزل الله بها من سلطان؟ الا ان هذه الكذبة وحدها كافية لاثبات كذب الرواية المذكورة.

(٣) لا يبعد ان يكون مصطفى قد لفق هذه القصة لمصلحة الاسلام. وقد يكون واضعها الحقيقي هو الراهب

(١) ان مؤلفات هذا الرجل لا تزال موجودة بين ايدينا

فراماريno المذكور في زمن البابا المذكور فيكون هو الكاذب لا مصطفى

والخلاصة ان جميع الدلائل الخارجية ترجع النسخة التي بين ايدينا الى ايطاليا الى المئة السادسة عشرة. وهنالك رواية تشير الى وجود نسخة اقدم ولكن يشك في صحتها باعتبار الدلائل الخارجية والداخلية فلا يمكن الاعتماد عليها ابداً

على ان الدلائل الداخلية ترجع هذا الكتاب الى ما قبل المئة السادسة عشرة للميلاد كما سنرى وتنسبه الى القرن الرابع عشر فمن المحتمل اذاً ان يكون فراماريno المذكور قد عثر على نسخة من هذا الكتاب في رومية وطالعها. فان كان قد اسلم على اثر مطالعتها فلا يسعنا الا ان نعده جاهلاً كما سيتضح من البحث في محتويات هذا الكتاب

وقبل ان نبدأ بسرد البراهين الداخلية لنا كلمة عن الزعم بوجود نسخة عربية «لانجيل برنابا» ويجب ان نعلم ان النسخة التي بين ايدينا لا علاقة لها بالنسخة العربيـة المزعومة على الاطلاق

(١) لان النسخة الايطالية الموجودة لا تشير الى شيءٍ من

ذلك البتة . وليس هنالك ما يدل على وجود ادنى علاقة بين النسخة الاسبانية (المفقودة) والنسخة العربية (المزعومة) حتى ان الراهب فرامارينو نفسه (على فرض انه عاش حقيقة) لم يدع قط هـذه الدعوى في مقدمة النسخة التي يزعم انه وجدها . والخلاصة ان النسخة الايطالية الموجودة لا علاقة لها بالنسخة العربيـة المزعومة على الاطلاق وليس بين النسختين شيء مشترك سوى الاسم — «انجيل برنابا»

(٢) ان اسلوب النسخة الايطالية لا يشتم منه رائحة اللغة العربية على الاطلاق بل بالعكس يدل على انه ايطالي اصلاً

اما التعاليق العربية المكتوبة على الهامش فلا علاقة لها بموضوعنا على الاطلاق ولا شك ان كاتبها رجل اوروبي (او تركي) لما فيها من الاغلاط الكتابية الكثيرة التي لا يرتكبها اجهل جهال اللغة العربية . والظاهر ان كاتبها قصد ان يشرح بها بعض تعابير المتن الايطالي

(٣) ثم ان العلماء الذين اكتشفوا النسخة الاسبانية طلبوا من المسلمين ايامئذ مراراً ابراز النسخة العربية ان كان لها اثر من الحقيقة فلم يكن نصيبهم من المسلمين الا السكوت

والخلاصة ان النسخة الايطالية التي بين ايدينا كتبت اصلاً باللغة الايطالية ولا علاقة لها بالنسخة العربية المزعومة على الاطلاق

اذاً الجدال في حقيقة وجود كتاب عربي يدعى «انجيل برنابا» خارج عن موضوعنا لان بحثنا لا يتعدى الكتاب الموجود بين ايدينا. وليت شعري كيف يمكننا ان نبحث في امر كتاب لا وجود له البتة او في كتاب مفقود منذ أزمنة بعيدة العهد؟ ومع هـذا فلا بأس من النظر في بعض اوجه هذا الموضوع:

(١) جاء في بعض التقاليد الخرافية التي لا يعوّل عليها انه عندما اكتشفت بقايا الحواري برنابا في قبرس في المئة الخامسة للميلاد وجد معه نسخة من «انجيل متى» مكتوبة بخط يده (اي يد برنابا)

فهذه الخرافة وان لم يكن لها علاقة «بانجيل برنابا» تبين لنا كيف نشأ الاعتقاد بان برنابا كان من كتاب الانجيل

(٢) ان القائمة الواردة في الفقرة السادسة من منشور البابا جلاسيوس (٤٩٢—٦ ميلادية) تتضمن كتاباً محرماً يدعى

«انجيل برنابا» ولكن العلماء المحققين يشكون في صحة المنشور المذكور ويعدون ورود ذكر هذا الكتاب فيه من باب الخرافات التي لا ظل لها من الحقيقة

وهنالك ادلة اخرى تثبت انه لم يكن لكتاب كهذا وجود على الاطلاق . ذلك انه لم يرد ذكر هذا «الانجيل» في مؤلف من المؤلفات الاسلامية التي تتهم المسيحيين بتحريف الانجيل وهي (والحمد لله) كثيرة مما يدل على ان اولئك الكتاب لم يدعوا قط ما يدعيه بعضهم اليوم من هذه الدعوى الباطلة . ولو علموا به لاتخذوه سلاحاً على المسيحيين كما يفعل اليوم البعض. هذا ابن حزم يندد بالمسيحيين ايما تنديد ويتهمهم بتحريف الانجيل ولكنه لا يدعي البتة بوجود انجيل يدعى «انجيل برنابا» وهذا ابو الفضل السعودي وابو البقا صالح الجعفري وكلاهما ينكر على المسيحيين تفسيرهم لآيات الانجيل ولكنه يثق كما يظهر بصحة البشائر الاربع او الانجيل الحالي. وهذا الحاجي خليفة يذكر البشائر الاربع المذكورة ويقول كما قال غيره ان النصارى قد حرفوا الانجيل الصحيح ولكنه لا يذكر «انجيلاً» لبرنابا ابداً. بل هذه سائر المؤلفات الاسلامية والتفاسير القرآنية التي

تقدح بالنصارى وانجيلهم فانها لا تذكر شيئاً عن «انجيل برنابا» هـذا . فمن لاصحابنا يتعلقون بخيوط العنكبوت ؟ ألا يعد سكوت هؤلاء الكتاب دليلاً قاطعاً على ان «انجيل برنابا» لم يكن معروفاً في ايامهم وانهم لم يكن لهم به عهد ؟

والحق انه منذ ايام جلاسيوس الى يومنا هـذا لم يدع احد قط انه شاهد نسخة عربية من «انجيل برنابا»

(٣) لم يرد لهذا الكتاب ذكر في مؤلفات المئة الاولى والثانية والثالثة والرابعة للميلاد على الاطلاق مع إنه ظهر عدة مؤلفات مبتدعة في المئة الثانية فنستخلص من هذا :—

(اولاً) ان القول بوجود «انجيل برنابا» باللغة العربية هو وهم محض لا ظل له من الحقيقة

(ثانياً) ان «انجيل برنابا» لم يوجد قبل ظهور الاسلام على الاطلاق ولم يرد له ذكر في مؤلف من مؤلفات ذلك الزمن ما عدا منشور جلاسيوس المذكور

(ثالثاً) ان النسخة الايطالية التي بين ايدينا لا علاقة لها بالموضوع ابداً . وهنا نكرر القول بان مجرد اتفاق عنواني كتابين لا يدل على اتفاق الكتابين. فاذا الف اليوم زيد كتاباً

وسماه سيرة يوسف مثلاً فلا يستفاد من عنوانه انه الكتاب الذي الفه غيره سابقاً وسماه بالاسم عينه . هذا هو الواقع في «انجيل برنابا» فلا يجب ان ندعي انه هو هو الكتاب المزعوم ان برنابا كتبه او الوارد ذكره في منشور جلاسيوس المذكور

خاتمة الادلة الخارجية

يتضح مما تقدم ان هـذا الانجيل لا يتعدى العصور المتوسطة . وسنسرد فيما يأتي الادلة الداخلية التي تؤيد هـذا الرأي مما يدل على

ان هذا «الانجيل» من ملفقات العصور المتوسطة وملفقه رجل واسع الاطلاع على تعاليم الديانة المسيحية قليل الخبرة بتعاليم الديانة الاسلامية

وان هذا الملفق هو على الارجح نصراني هجر ديانته ودان بالاسلام كالراهب «فرامارينو» الوارد ذكره في النسخة الاسبانية المفقودة

الفصل الثالث

الادلة الداخلية

ولننظر الآن في محتويات هذا الكتاب الغريب قاسمين البحث فيه الى الاقسام الاربعة الآتية وهي :

(١) الادلة على ان المؤلف كان اوربياً (ايطالياً على الارجح) من اهالي العصور المتوسطة

(٢) الادلة على ان المؤلف لم يكن ملماً بجغرافية فلسطين وتاريخها

(٣) على ان اقوال المؤلف لا يمكن ان يؤخذ بها او يعول عليها

(٤) الادلة على ان المؤلف وان كان مماثلاً للاسلام قد ناقض كثيراً من تعاليم القرآن

وسنذيل جميع ذلك بخاتمة نبسط فيها رأينا في هذا الكتاب ومؤلفه والله حسب وكفى



القسم الاول

الادلة الداخلية على ان «انجيل برنابا» من مؤلفات العصور المتوسطة الايطالية

(١) اليوبيل المئوى

جاء في «انجيل برنابا» ان المرأة السامرية سألت المسيح: «الملك ياسيدي انت المسيا؟» فاجابها يسوع. «اني ارسلت الى بيت اسرائيل نبياً للخلاص. ولكن سيأتي بعدي المسيا رسولاً من الله الى كل العالم. الذي من اجله خلق الله العالم حينئذ سيعبد الله في كل العالم وتنال الرحمة حتى ان سنة اليوبيل التي تأتي الآن كل مئة سنة سيجعلها المسيا كل سنة في كل مكان

فمؤلف هذا «الانجيل» يزعم ان اليوبيل كان مئوياً (اي يقع في كل مئة سنة) مع ان اليوبيل اليهودي كان خمسينياً فما هذا الخلط الغريب؟

السر في ذلك ان المؤلف نسي نفسه فاشار الى «اليوبيل المئوي» الذي كان يعيده مسيحيو وطنه في ايامه. اذ لا يخفى

ان البابا بونيفاس الثامن جعل اليوبيل مئويا واحتفل به في سنة ١٣٠٠ ب . م . ولكن البابا اكليمندس السادس احتفل بِهِ في سنة ١٣٥٠ مقصراً عهده الى خمسين سنة عوضاً عن مئة وذلك لما نتج عن اليوبيل الاول من المكاسب المالية العظيمة. فكاتب «انجيل برنابا» يشير الى اليوبيل المئوي الذي كان على عهده وبعبارة اخرى انه عاش في المئة الرابعة عشرة للميلاد فكان معاصراً لدانتي شاعر ايطاليا العظيم

(٢) الاقتباسات من دانتي

ومما يثبت ايضاً ان المؤلف من اهل العصور المتوسطة اقتباساته العديدة لكثير من اقوال دانتي شاعر ايطاليا وتعاليمه وجميعها ظاهرة في «انجيل برنابا» ظهور الشمس في رائعة النهار مما لا يمكن ان يكون من قبيل توارد الخواطر. فمن ذلك بيت شعر اقتبسه «برنابا» عن دانتي في عدة مواضع (وجه ٢٣ عمود اول ووجه ٨١ عمود ثان ووجه ٢٢٥ عمود اول) وترجمته ما يأتي: — «يذهبون ويعبدون الالهة الكاذبة غير الحقيقية» وهو مقتبس بالحرف الواحد ولا يمكن ان يكون من قبيل توارد الخواطر . ومن ذلك أيضاً عبارة في وصف الجوع بجهنم فان

دانتي يصفه بقوله انه «جوع ثائر» وقد اقتبس «برنابا» هذا التعبير

ولكن البرهان الاقوى على ان المؤلف منتحل او متشرب لاقوال دانتي عن النعيم والجحيم ما نجده من المطابقة بين وصف كليهما للاوجاع والآلام التي يعانيها اهل جهنم. قابل العمود الثاني من صفحة ٦٢ من «انجيل برنابا» بالصفحة ٢٢ من الجزء الثالث من «ديوان الجحيم» لدانتي والعمود الاول من الصفحة ٦٣ من «انجيل برنابا» بالصفحة ١٠٣ «جزء ٣ من «ديوان الجحيم» المذكور

والاغرب من ذلك وصف طبقات جهنم وصفاً يطابق وصف دانتي كل المطابقة. فقد جاء في الفصل المئة والخامس والثلاثين من «انجيل برنابا» (الصفحة ١٤٦ عمود ثان) ما نصه بالحرف الواحد :—

«فاجاب يسوع ... اعلموا ان جهنم هي واحدة ولكن لها سبع «دوائر» الواحدة تحت الأخرى. فكما ان الخطية هي سبعة انواع — اذ لسبعة ابواب الجحيم انشأها ابليس — هكذا هنالك سبع عقوبات. فالفخور المتجبر في قلبه سيغطس الى

الدائرة السفلى ماراً بجميع «الدوائر» التي فوقها ومعانياً جميع الآلام المترتبة لكل منها . . . الخ »

فوصف جهنم على هذا الوجه وتقسيمها الى «دوائر» مأخوذ عن دانتي ولا يقدر احد ان ينكر ذلك. راجع الكتاب الرابع من «ديوان الحكيم»

ومن ذلك قول «برنابا» ان الله اذ خلقها (الضمير راجع الى حواس الانسان) «حكم عليها بالجحيم وبثلج وجليد لا يحتملان» .: وهو مأخوذ عن دانتي ايضاً . راجع ديوان الجحيم الجزء ٣٢ الصفحة ٢٢

ومن ذلك وصف خطايا الانسان وادرانه وعودتها في الآخر كنهر الى ابليس الذي هو مصدرها . والكلام مأخوذ عن وصف دانتي لانهار جهنم

ومن هذا القبيل ايضاً وصف ذهاب المؤمنين الى الجحيم ليس لكي يعذبوا هنالك بل لكي يشاهدوا المحكوم عليهم وهذا الوصف وان يكن مطابقاً لما جاء في القرآن الا انه اشد طباقاً لوصف دانتي

واهم من ذلك كلامه عن الخاطيء الذي يتوب عن خطاياه

فلا تغفر له لانه يفكر بخطايا جديدة . وقابل الفصل السادس والثلاثين من «انجيل برنابا» بالكتاب السابع والعشرين من ديوان الجحيم لدانتي

وكذلك وصف درجات المجد المتفاوتة في السماء وعدم وجود حسد بين الحائزين لها وهو مأخوذ بجميع تفاصيله عن ديوان الفردوس لدانتي (قابل الصفحة ١٨٩ العمود الثاني من «انجيل برنابا» بالكتاب الثالث من ديوان الفردوس المذكور (الصفحة ٧٠)

ومن ذلك ايضاً وصف جغرافية السماء وجهنم وصفاً يغاير القرآن ويطابق وصف دانتي . فقد جاء في القرآن ان السموات سبع آخرها الفردوس. واما «برنابا» فيقول انها تسع وعاشرها الفردوس (وهو ما يقوله دانتي عينه) راجع «انجيل برنابا» الصفحة ١٩٠ العمود الثاني

وهنالك اقتباسات آخرى عن دانتي ضربنا صفحاً عن ذكرها خوفاً من ملل القارىء وهي لا تخفى على المطلع على ديوان هذا الشاعر العظيم واقواله . وجميعها تدل دلالة صريحة على ان كاتب «انجيل برنابا» كان مطلعاً عليها وحافظاً لها

ومتشربًا تعاليمها ولا فائدة من القول ان المطابقات التي ذكرناها هي من قبيل توارد الخواطر ولا نخال ان الجهل يغرر باحد الى درجة يدعي معها هذه الدعوى الصبيانية .

(٣) تعاليم العصور المتوسطة

وفي «انجيل برنابا» آثار عديدة من تعاليم العصور المتوسطة واشارات واضحة الى الجدالات التي كانت تحدث بسببها. من ذلك مسئلة حرية الانسان التي أخذت دوراً مهماً في العصور المتوسطة . «فانجيل برنابا» ينافي القرآن في هذا الامر على خط مستقيم ويقول ان الانسان له حرية الارادة المطلقة فكل ما يقع له هو مترتب على تلك الحرية. ولايخفى ان القرآن ينافي هذا التعليم على خط مستقيم ويقول : «كل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» (قابل بهذا العمود الاول من الصفحه ١٨٠ من «انجيل برنابا»

ومن ذلك ايضاً نظام الزهد والتقشف فان المؤلف يصوره لنا كما كان شائعاً في العصور المتوسطة لا كما كان معروفاً في القديم

(٤) آثار العصور المتوسطة الاجتماعي

من تصفح هذا الكتاب يذهل لما يجده فيه من آثار المعيشة والنظام الاجتماعي في العصور المتوسطة لا سيما ما يختص منه بايطاليا واحوالها الاجتماعية في ذلك الزمن . نعم ان بعض هذه الاحوال ينطبق على غير العصور المتوسطة ولكن انطباقها على هذه هو اشد واتم مما يدل على ان الكاتب نشأ في وسط تلك الاحوال وبالطبع تشرب نظام ذلك الوسط فظهرت آثاره في ما كتبه وهو غير منتبه لما يفعل . ولا يخفى ان الكاتب مهما تفنن وبلغ من الحذق والمهارة فلا بد ان تظهر في كتابته آثار تدل على نوع نشأته والوسط الذي عاش فيه . فمؤلفات فيكتور هيوغو مثلاً لا يمكن ان تنسب الى العصور المتوسطة لان آثار النظام الاجتماعي الحديث ظاهرة من خلالها بحيث لا يمكن ان تخفى على عين الناقد البصير . وهكذا قل في اشعار هوميروس وملتون فان آثار كل منها تدل على الزمن الذي كتبت فيه

وعلى هذا القياس ترى آثار نظام العصور المتوسطة الاجتماعي ظاهرة من خلال «انجيل برنابا» بحيث انك تشتم

منها رائحة تلك العصور . واننا لا يسعنا ايراد جميع تلك التفاصيل التي تؤيد دعوانا ولكننا نورد بعضها لان ما لا يدرك كله لا يترك جزؤه

فمن ذلك وصف فصل الصيف والحقول والاودية وصفاً ينطبق على بلاد ايطاليا الجميلة اكثر من انطباقه على البلدان الشرقية لان حقول فلسطين في فصل الصيف ناشفة قاحلة .

ومنه ايضاً ذكر مقالع الحجارة (الصفحة ١١٦ العمود الثاني) والعالم كله يعلم ان اشهر مقالع الحجارة هي في ايطاليا حتى ان المتاجرة بالمقالع هنالك تكاد تكون اهم اسباب الرزق وافسح ابوابه للايطالي . ولا يخفى ما للتليان من الشهرة في صنع التماثيل الحجرية وغيرها أما الكتابات اليهودية فخالية من ذكر المقالع

ومن ذلك ذكر المراكب والنوتية (الصفحة ١٠٩ عمود ثان) الامر الذي لا يصدق على احوال الملاحة في فلسطين في القرن الاول للميلاد

ومنه ايضاً ذكر تمرين العساكر في زمن السلم (الصفحة ١٥٣ عمود ثان) ولا يخفى ان العساكر الايطالية كانت منظمة

مدربة على الفنون العسكرية ولا بد ان تمرنها في زمن السلم كان من المشاهد المألوفة عند كاتب «انجيل برنابا» اما الكتابات اليهودية فقد اهمل فيها ذكر الفنون العسكرية اذ لا محل لها في الكتب الدينية فالاشارة لا بد ان تكون الى جيوش ايطاليا

ومن ذلك ايضاً وصف الفلاحين (الصفحة ١٣٠ عمود اول) وتقديمهم جزءاً من غلاتهم الى سادتهم ومواليهم بحسب نظام الالتزام

واوضح من كل ذلك آثار هذا النظام المعروف عند الغربيين بالفيودالزم . وهو ظاهر من خلال اقوال «برنابا» ظهور الشمس في كبد السماء. ولا يخفى ان هذا النظام نشأ في العصور المتوسطة وانتشر في جميع الممالك الاوروبية وظل يلعب دوره حتى بزوغ العصور الحديثة . ومؤداه تقسيم الاراضي بين سراة القوم واغنيائهم بحيث ان كلا منهم يتصرف في ارضه تصرف المالك المطلق فيقسمها الى اقسام عديدة ويضمنها لاناس يؤدون له جزية معلومة وينضمون تحت لوائه في وقت السلم والحرب الى غير ذلك من التفاصيل التي لا يجهلها احد

من دارسي التاريخ . وقد مثل لنا كاتب «انجيل برنابا» مريم ومرثا ولعازر من الموالي الذين عاشوا في دور النظام الالتزامي

اما في زمن المسيح فان الفلاح كان ملزماً باعطاء كل الغلة لسيده ولم يكن يتناول منه سوى اجرته . والحق ان ذكر هذا الامر وحده كافٍ لاقناع الد" المعارضين بان الاشارة هي الى فلاحي ايطاليا لا الى غيرهم لانها تنطبق على احوالهم الاجتماعية كما كانت في العصور المظلمة

واوضح من ذلك كله ذكر براميل الخمور (الصفحة ١٦٧ عمود ثان) وهي تختص بايطاليا اكثر من البلاد الشرقية . واذا قال معترض ان الاشارة هي الى زقاق الخمر التي كان الشرقيون يستعملونها قلنا ان ذلك ليس صحيحاً بدليل اشارته الى « دحرجة » البراميل لغسلها . والزقاق كما لا يخفى لا يمكن دحرجتها

ومن ذلك ايضاً ذكر نظام المحاكمات بحسب قوانين العصور المتوسطة (الصفحة ١٢٩ عمود ثان) اي ان الحاكم يأمر بالقبض على المتهم لتؤخذ اقواله فيدونها مسجل او كاتب شرعي

ومن ذلك ايضاً ذكر المبارزات بين العشاق من اجل

اسباب غرامية (الوجه ١٠٥ عمود اول) وهو من ميزات العصور المتوسطة واثر من اثار الدور عندهم «بالفروسية» (شيفالري)

ان هذه العادة كانت مجهولة عند مسيحي المئة الاولى فهي وما سبقها كافية لتأييد ما اردنا اثباته



القسم الثاني

جهل المؤلف لجغرافية فلسطين وتاريخها

ومما يؤيد كذب الكاتب ونفاقه الاغلاط التي ارتكبها فيما يختص بجغرافية فلسطين وتاريخها

ان برنابا الحقيقي عاش في المئة الاولى للميلاد وكان عارفاً بالطبع بجغرافية بلاده واحوالها . واما مؤلف هذا «الانجيل» فعلى نقص عظيم في ذلك فهو يزعم ان الناصرة ميناء على شاطئ بحر او بحيرة . ويؤخذ من كلامه ان اورشليم ايضاً ميناء كذلك . ولا يخفى ان الناصرة قائمة على هضبة يبلغ ارتفاعها نحو الفي قدم عن سطح البحر وتبعد عن بحر الجليل مسافة نصف يوم . وموقعها اليوم هو نفس موقعها منذ الفي سنة

اما اورشليم فكلنا يعلم موقعها الحقيقي وبعدها عن البحر وهاك الآية التي يؤخذ منها ان الناصرة فرضة بحرية .

قال المؤلف : — (الصفحة ١٩ عمود ثان) «وذهب يسوع الى بحر الجليل واذ ركب سفينة اقلع الى مدينة الناصرة»

ان هذه الآية واضحة لا تحتاج الى تبيان ورب معترض يقول ان الكلام لا يجب ان يؤخذ حرفياً فهو من قبيل القول ان فلاناً اقلع من لندن مثلاً الى القاهرة مع ان القاهرة ليست ميناء بحرياً. فنجيب بان الاعتراض في غير محله كما يظهر من متابعة القصة المشار اليها (الوجه ٢٠ عمود اول) وهاكها بالحرف الواحد: —

«ولما وصلوا الى مدينة الناصرة اذاع النوتية في كل المدينة ما كان يسوع قد صنعه» فالكلام هنا اذاً واضح لا يقبل التأويل ومؤداه ان السفينة رست عند الناصرة فاذاع النوتية الاخبار فيها. ومما يوضح هذا الغلط بالاكثر قوله (في اسفل العمود الثاني من الوجه ٢٠) «ان يسوع صعد الى كفر ناحوم» (من الناصرة) مع ان رسو السفينة كان يجب ان يكون في كفر ناحوم والصعود الى الناصرة

ومن هذا القبيل ما ورد في العمود الاول من الصفحة ١٥٧ اذ يقول ان المسيح جاء في صباح يوم سبت الى الناصرة. وبعد ذكر الاقوال التي نطق بها هنالك (الصفحة ١٥٧ عمود اول الى الصفحة ١٦٧ عمود ثان) يقول ان «يسوع ابحر في مركب...»

فهل بعد هذا شك في ان «برنابا» كان يزعم الناصرة ميناء بحريا؟

ثم يقول بعد ذلك ان السفينة اقلعت من الناصرة الى اورشليم . . . . جاء في الصفحة ١٦٦ عمود ثان قوله :—«واذ وصل يسوع الى اورشليم . . . الخ» . هذا وان الكاتب لم يحذف شيئاً من التفاصيل حتى يصح القول بان هنالك ثغرة يجب ان تفهم من المعنى فلا بدع ان السفينة التي اقلعت من الناصرة رست في ميناء اورشليم . . . .

وهنالك امور هي في نظر التاريخ خرافات صبيانية فمن ذلك قول «برنابا» ان دانيال وقع اسيراً في يدي نبوخذ نصر وهو ابن سنتين (ص ٨٢ عمود ثان) اما رواية التوراة فيستفاد منها عكس ذلك اذ تقول ان الملك نبوخذ نصر (الذي أسر دانيال ورفاقه) حلم في السنة الثانية من ملكه حلمه المشهور وعرضه على دانيال فانبأه به وفسره له حتى ذهل الملك «وسلطه على كل مملكة بابل وجعله رئيس الشحن على جميع حكماء بابل» (دانيال ٢:٤٨) فاذا فرضنا ان نبوخذ نصر سبى دانيال في اول سنة من ملكه وان عمر دانيال كان حينئذ

سنتين على زعم «برنابا» يكون عمره عند تفسيره الحلم لنبوخذ نصر ثلاث او اربع سنين فقط . وليت شعري كيف يسلطه نبوخذ نصر على مملكة بابل وهو بعد في تلك السن ؟

واذا لم يسلم احد بشهادة التوراة فلا مندوحة له عن التسليم على الاقل بشهادة يوسيفوس المؤرخ وهى تنطبق على رواية التوراة (راجع الكتاب العاشر من تاريخ يوسيفوس والفصل العاشر)

ومن تلك الملفقات قصة ذكرها « برنابا » في الفصل الحادي والتسعين من كتابه وملخصها ان اليهود اختلفوا في حقيقة يسوع فنهم من قال انه إله ومنهم من قال انه ابن الله ومنهم من قال انه نبي فقط . وكاد خلافهم هذا يفضي الى حرب عظيمة إذ «اجتمع في المصفاة ثلاثة جيوش يتألف كل منها من مئتي الف رجل شاكي السلاح . فكلمهم هيرودس فلم يهدأوا . فتكلم حينئذ الحاكم ورئيس الكهنة قائلين ايها الاخوة ان هذه الحرب من عمل الشيطان . فيسوع حي واليه يجب ان نذهب ونسأله لكي يشهد عن نفسه مهما قال نصدقه . فعند ذلك سكت كل واحد وطرح سلاحه حاضنا رفيقه

وقائلاً : يا اخي اغفر لي»

نقول ان الحادثة لم تذكر في اي تاريخ من تواريخ العالم كتاريخ يوسيفوس الشهير وتاريخ ملمان وغيرهما . وفضلاً عن ذلك انها تناقض العقل إذ كيف يعقل ان تجتمع ثلاثة جيوش يقارب عددها حسب ما يقول « برنابا » ستماية الف مقاتل بقصد المحاربة ثم يتفرقون في طرفة عين من الزمان كل الى موضعه كان لم يحدث شيء ؛ وهل ان اصطفاف جيوش ينيف عددها على النصف مليون بقصد المحاربة من الحوادث التي لا تستحق الذكر حتى لم يدونها يوسيفوس حالة كونه قد دون تفاصيل لا تكاد تستحق الذكر ؛ ثم كيف يعقل ان هيرودس الذي كان عدواً للمسيح يحاول تهدئة الشعب وتلك الجيوش لئلا يحصل اضطراب من اجل المسيح ؛ أليس الاقرب الى العقل انه يثير الامة ويحدث شغباً طلباً للغدر بيسوع ؛ هذا وليعلم اخواننا ان جميع الكتائب الرومانية في الشرق لم تبلغ ايامئذ الستماية الف مقاتل فمن اين جاءت هذه الجيوش الى المصفاة ؛ ان زحف جيوش هذا عددها للقتال لا يمكن ان يكون فجأة بل لابد ان يسبقه استعداد وتجهيز . فما بال

صاحبنا «برنابا» لا يشير الى ذلك الاستعداد — اللهم الا ان تكون تلك الجيوش قد نبتت فجأة من الارض ؟

ثم ان هذه القصة تمثل لنا هيرودس و بيلاطس ورئيس الكهنة اشبه باصيبية يثيرون الحرب بكلمة و يبطلونها بنصف كلمة . وليت شعري ألم تخطر كلمة السلام على شفتي بيلاطس قبل ان اجتمعت الجيوش الثلاثة واصطفت للقتال ؟

والاغرب من هذه التلفيقة قول «برنابا» ان هيرودس و بيلاطس ورئيس الكهنة قدموا ليسوع كل صنوف التجلة والاحترام سيما رئيس الكهنة الذي سجد ليسوع (ص ٩٨ عمود ثان) مع ان رؤساء الكهنة كانوا السبب الاقوى والحامل الاكبر على صلب المسيح وكانوا يبغضونه لانه كان يوبخهم ريائهم و نفاقهم



القسم الثالث

الاقوال الخارجة عن حد المعقول

اثبتنا في القسم السابق ان كاتب هـذا «الانجيل» لم يكن يعرف شيئاً من جغرافية فلسطين وتاريخها مما يثبت انه لم يكن من تلاميذ المسيح الحقيقيين ولا كان يهودياً. فقد سقطت اذاً دعواه

على انه لا بأس من ان نثبت في هذا القسم انه لا يستطيع احد في رأسه ذرة من العقل ان يثق «بانجيل برنابا» اويعتمد على اقواله. وسنبين في القسم الرابع ان المسلم نفسه يخطئُ في الاعتماد عليه لانه ينافي القرآن في كثير من تعاليمه على خط مستقيم. وهاك بعض خرافات هذا الكتاب

فمن ذلك قوله في (ص ٣٦ العمودين الاول والثاني) «ان الله خالق كتلة من التراب وتركها خمسة وعشرين الف سـنة وهو لا يفعل شيئاً آخر. (فعلم الشيطان). ان الله سيخلق من تلك الكتلة مئة واربعة واربعين الفاً موسـومين بعلامة

النبوة (ومعهم) رسول الله (الذي كان الله قد) خلق نفسه قبل كل الاشياء بستين الف سنة . . . الخ»

فحضرة «برنابا» كان مطلعاً كما يظهر على تاريخ الله فعلم انه سبحانه وتعالى خلق كتلة من التراب وتركها خمسة وعشرين الف سنة — لا اكثر ولا اقل — وهو لا يعمل شيئاً ولا يخلق كائناً . وليت شعري هل السنة في حساب «برنابا» غريغورية ام هجرية ؛ ولماذا لم يزد الله عدد الانبياء الى اكثر من ١٤٠١ وما السر في انتقاء هـذا العدد وهو ليس من الاعداد المقدسة وهل في استطاعة احد من اخواننا المسلمين ان يذكر اسماء نصف هؤلاء الانبياء — اللهم الذين يؤيد التاريخ وجودهم ؛ وفوق ذلك — هل في وسع الائمة والشراح ان يفيدونا ما هي الحكمة في خلق «رسول الله» قبل خلق الكائنات بستين الف سنة ؛ فان قيل ان ذلك لاظهار قدمية خلق النبي نقول ان الستين الف سنة في عين الله هي كاليوم الواحد وان خلق آدم مثلاً قبل خلق المسيح (كذا) بالوف من السنين لا يجعل للاول فضلاً على الثاني . فلعل في وسع «ضاربي الرمل» ان يحلوا عقد هذه السنين !

الا ان تدقيق «برنابا» في ضبط حساباته هذه ليس شيئاً في جانب ذكره لما سيحدث في كل يوم من الايام الخمسة عشر التي ستسبق يوم القيامة. والمجال لا يسمح لنا ان نذكر حوادث هذه الايام الخمسة عشر المدونة في الفصل الثالث والخمسين من «انجيل برنابا» وخلاصتها اسوداد الشمس في اليوم الاول. وتحويل القمر الى دم في اليوم الثاني (حتى تتساقط نقط ذلك الدم على الارض كما يتساقط الندى) ووقوع حرب هائلة بين الاجرام الفلكية في اليوم الثالث.. وبكاء النباتات دماً في اليوم الخامس. وارتفاع ماء البحر الى علو مئة وخمسين ذراعاً — لا اكثر قيراطاً ولا اقل بوصة — في اليوم السادس. وانعكاس الآية في اليوم السابع الخ الخ

نقول ان الذي يدهشنا في ذكر هذه الامور ليس شدة هولها وفظاعتها — لاننا نعتقد ان يوم القيامة سيكون اشد هولاً مما يمثله «برنابا» — ولكن الذي يدهشنا هو ايراده اياها كأنه مطلع على اسرار الله وما سيفعله في اليوم الآخر وذلك بوجه التفصيل والتدقيق

ومن الخرافات العجائبية الواردة في هذا الكتاب ذكر قصة

آدم وحواء وسقوطهما في الخطيئة مما يشبه خرافات الاولين واساطيرهم فقد قال ان الحية كانت ذات اربع قوائم كالجمل وكان الله قد وضعها على باب الجنة لحراسة آدم وحواء فجاء اليها الشيطان وطلب منها ان تفتح فاها لكي يثب الى بطنها ويدخل بها الجنة لافسادها ففعلت واغرت حواء بالاكل ثم اقتدى آدم بامرأته واذ كان يأكل من الثمرة المنهي عنها ذكر كلام الله ونهيه تعالى عن اكلها فغصت به اللقمة في منتصف الحلقوم وتركت اثراً يعرف اليوم «بجوزة آدم»!.. وعلى اثر ذلك امر الله ملاكه ميخائيل فقطع قوائم الحية وتركها تزحف على بطنها الخ الخ

نقول ان هذه القصة شائعة في بلدان كثيرة ولا شك انها لا تخرج عن حيز الخرافة لانها تناقض العلم والعقل ولا تنطبق على رواية التوراة

ولا يمكننا ان نسهب البحث فيها وانما نقول ان قطع قوائم الحية الاولى لا يجعل نسلها مقطوع القوائم. ولا دخل لناموس الوراثة هنا لان هذا الناموس انما يتناول الصفات والاخلاق ويؤثر في النسل من هذا القبيل ولا يتناول

الحوادث العرضية . وبعبارة اخرى ان الانسان اذا قطعت يده لا يأتي نسله مقطوع الايدي لان قطع اليد حادثة عرضية لا يتناولها ناموس الوراثة

واذا سلمنا بان ناموس الوراثة يتناول الحوادث العرضية لزم عنه ان يجيء نسل آدم كله مختونا طبعاً لان «انجيل برنابا» يقول ان آدم ختن نفسه انجازاً ليمين اقسم بها بعد عصيانه نهي الله — وذلك انتقاماً من جسده على ما يظهر ؟ . . . (راجع «انجيل برنابا» ص ٢٢ العمود الثاني) ومما يذكر ان اول انسان ذكرت التوراة ختانه هو ابرهيم وعلى كل حال فنحن لا نتعرض لاثبات ختان آدم أو نقضه وانما نذكره (مع مافيه من الغرابة الدالة على ما يشبه الجنون في آدم) لنبين كيف ان ناموس الوراثة لم يتناول هذه الحادثة في نسل آدم

واذا اعترض احد بان دانيال ويوحنا اللاهوتي وغيرهما قد ذكروا ازمنة معينة لحوادث معينة وانه بناء عليه لا يصح ان يؤاخذ «برنابا» بذكر الستين الف سنة المذكورة آنفاً أو الـ ١٤٤٠٠٠ من الانبياء وهلم جرا . . . فنقول ان المسيحيين

باجمعهم يقرون بان ذكر دانيال ويوحنا اللاهوتي لتلك الاعداد
من الغوامض التي لم يجمعوا على حلها ويرجحون انها اعداد
رمزية . وهو امر جائز في معرض التنبوء والكلام عن الرؤى
والاحلام . واما «برنابا» فانه يذكر اعداده كالمؤرخ المدقق
وبين الحالتين بون شاسع كما لا يخفى على عين الناقد البصير

القسم الرابع

«انجيل برنابا» والقرآن

ولننظر الآن في تعاليم «انجيل برنابا» المناقضة لتعاليم القرآن. ولقد كان الاولى بالمتخذين هذا الانجيل سلاحاً ضدنا ان يمعنوا في تعاليمه الغريبة واقواله المدهشة قبل ان يعتمدوا عليه في التنديد بالانجيل الصحيح. ولا بأس هنا من ايراد بعض تلك التعاليم لكي يقف عليها كل دان وقاص

فمن ذلك قوله ان السموات تسع عاشرها الفردوس. اما القرآن فيقول انها سبع اخرها الفردوس. وقد اشرنا الى هذا الخلاف فيما سبق وبينا ان قول «برنابا» هذا مبني على اقوال دانتي شاعر ايطاليا وتعاليمه التي كان «برنابا» مطلعاً عليها ومتشرباً لها (قابل «انجيل برنابا» ص١٩٠ العمود الثاني بآية ٢٩ من سوره البقرة حيث يقول: ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات)

ومن ذلك قوله ان مريم ولدت يسوع «ابنها بدون ألم»

(ص ٥ عمود ثان) واما القرآن فيشير الى عكس ذلك ويقول: «فاجاءها المخاض الى جزع النخلة قالت ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً» (سورة مريم آية ٢١)

ومن ذلك ايصاؤه الناس بالمحبة لاعدائهم والبركة للاعنيهم وهو مقتبس من تعاليم المسيح الحقيقية التي حلت محل الشريعة الموسوية القديمة وكانت تقضي بعقاب المجرم عيناً بعين وسناً بسن. (راجع «انجيل برنابا» ص١٨ العامود الاول وص ٦٦ العامود الثاني وص ٨٩ العامود الثاني وص٩٣ العمود الاول) ولا يخفى ان القرآن يقول بما تقوله الشريعة الموسوية من هذا القبيل ويخالف «انجيل برنابا» القائل لا تغلبوا الشر بالشر بل بالخير» . وايضاً — «ويل للذين ينتقمون» (ص ٦٥ العمود الثاني) وايضاً: «فاذا كنت ذا عقل صحيح فقبل يد الذين يحتقرونك وقدم هدايا للذين يضطهدونك ويلطمونك كثيراً» الخ الخ

ومن ذلك ايضاً قوله في معرض الكلام عن الاكل: «ان مايدخل (فم) الانسان لا ينجس الانسان ولكن مايخرج منه ينجسه» (ص ٣٣ العمود الثاني) «فبرنابا» اذاً خالف نواهي

القرآن التي تحرم لحم الخنزير وغيره . ولكنه عاد فانتبه على ما يظهر الى هذه المخالفة فقال ان الانسان يتنجس اذا اكل لحم الخنزير ليس لان هذا اللحم نجس في حد ذاته بل لان الذي يأكله يكسر وصية الله الذي نهى عنه . راجع الفصل الثاني والثلاثين من «انجيل برنابا»

ومن ذلك ايضاً نهيه عن الاقتران باكثر من امرأة واحدة وذلك قوله : «فليكتف الرجل بالمرأة التي وهبها له خالقه ولينس كل امرأة سواها» (ص ١٢٣ العمود الثاني) فما عسى ان يقول اخواننا المسلمون في هذا النهي الصريح وهو يخالف القرآن على خط مستقيم ؟ واي الكتابين ينبذون ؟

ورب معترض يقول ان القرآن لا يوصي بتعدد الزوجات ولكنه يبيحه وبين الوصية والاباحة فرق كما لا يخفى . نقول نعم ولكن «انجيل برنابا» لا يوصي بهذا الامر ولا يبيحه فهو يخالف القرآن الذي يبيحه

ورب معترض يقول هنا انه لا بأس من ان يحلل احد الكتب المنزلة ما حرمه غيره من تلك الكتب أو بالعكس وانه بناء على ذلك يجوز للقرآن ان ينسخ ما جاء به المسيح في

«انجيل برنابا» هذا فليس في قولنا بوجود مناقضات بين هذين الكتابين كبير امر — الخ. فلمثل هذا المعترض نقول ان «برنابا» يحرم مذهب النسخ وذلك بقوله «ان كل نبي يحفظ ناموس الله وجميع ما تكلم به الله بواسطة الانبياء» (انظر العمود الاول من ص ٣٩)

«فانجيل برنابا» اذاً يناقض القرآن على خط مستقيم ومذهب النسخ (حتى على فرض التسليم به) انما يتناول الوصايا والنواهي فلا يتعداها فلا يمكن للقرآن ان ينسخ قول «برنابا» ان السموات تسع عاشرها الفردوس فيجعلها سبعاً عوضاً عن ذلك

ومن ذلك اتهام «برنابا» لرباني اليهود (في المئة الاولى للميلاد) بتحريفهم التوراة وهي تهمة ما انزل الله بها من سلطان وقد اجلهم عنها محمد نفسه اذ شهد لهم وللتوراة فقال انها نور وهدى للمتقين فما بال صاحبنا «برنابا» يطيل لسانه في الكذب والافتراء ويعزو اليهم ما هم براء منه كما يشهد لهم بذلك جميع اعدائهم وخصومهم ؟ (راجع «انجيل برنابا» ص ٤٦ العمود الاول) وهنا لا بد لنا من احد فرضين : اما ان يكون «انجيل برنابا» قد كتب قبل ظهور محمد او بعده

في الحالة الاولى يكون محمد قد شهد لتوراة حرفها ربانيو اليهود في المئة الاولى او قبلها. وفي الحالة الثانية يكون هذا الانجيل ملفقاً ضرورة . فاذا قال معترض ان محمداً شهد لنسخة معينة للتوراة كانت سالمة من شوائب التحريف قلنا ان في المسألة وجهين

(الاول) ان جميع نسخ التوراة التي كانت موجودة في ايام محمد تتفق آياتها كل الاتفاق. وكانت منتشرة بحيث لا يصح القول ان محمداً لم يعلم بوجودها. فلو كان بين يديه نسخة سالمة من شوائب التحريف تختلف عن تلك النسخ الاخرى فلماذا لم يشر الى الصحيح من الفاسد منها ؟ ولماذا لم يقل ان النسخة الفلانية هي الصحيحة والنسخ الاخرى كاذبة ؟ وبعبارة اخرى — لماذا لم يحذر الناس من النسخ المحرّفة

(الثاني) هل في وسع اخواننا المسلمين ان يبرزوا لنا التوراة (او النسخة) التي شهد لها محمد ؟ كلا لعمر الحق ! لان كلام محمد عمومي لا يشير الى نسخة معينة . وهو يقول ان كتاب الله آمن كل ابدال وتحريف. ثم كيف يتفق اليهود والنصارى على تحريف التوراة او يتواطئوا على ابدال اقوالها وحذف آياتها

وبين الطائفتين ما بينهما من الاختلاف في الرأي والمذهب ؟

ومن ذلك ايضاً قصة خلق العالم والمجال لا يسمح لنا باقتباسها فنكتفي بالاشارة اليها. (راجع الفصل التاسع والثلاثين من «انجيل برنابا») والمطلع عليها يخال نفسه امام مسرح اشبه بالمسارح التي تمثلها لنا قصص الف وليلة وامثالها

وعلى ذكر هذه المناقضات نقول ان كاتب هذا «الانجيل» هو مسلم اكثر من محمد نفسه لانه يدعي ان الوعد جعل لابرهيم في ابنه اسمعيل لا في اسحق (ص٤٦ عمود اول) حالة ان القرآن لا يصرح بشيء من ذلك والرازي نفسه لا يعلم الحقيقة ! واما «برنابا» فيدعي ان اليهود «والنصارى» قد اتفقوا على تحريف التوراة وابدال اسم اسمعيل باسحق. وهكذا تكون شهادة محمد لتوراة محرفة ؟ راجع ما قلناه بهذا الصدد

هـذه اهم التعاليم «البرنابية» التي تناقض اقوال القرآن وتعاليمه ولا مندوحة للمسلمين عن قبول احداها ورفض الاخرى

ومن «غرائب برنابا» التي ابدع فيها والتي تكفي ان تجعلنا نضع كتابه بين كتب الفكاهات: انه تناسى يوحنا المعمدان

(يحيي بن زكريا) في كتابه ونسب جميع اقواله وصفاته الى المسيح جاعلاً اياه ممهداً لسبيل محمد وواضعاً محمداً موضع المسيا نفسه . وقد تكررت آياته بهذا المعنى كثيراً (راجع ص ٨٥ العمود الثاني ص ١٠١ العمود الثاني ص ٢٠٨ العمود الثاني) كقوله — : قالت المرأة (السامرية) يارب العلك انت المسيا ؟ فاجاب يسوع : انني حقاً نبي . . . ولكن سيأتي بعدي المسيا.. الخ — وكقوله : — «فاجاب الكاهن : ارجو ان تخبرنا الحق : هل انت مسيا الله المنتظر ؟ فاجاب يسوع كلا . لست انا اياه لانه خلق قبلي وسيأتي بعدي» وقوله ايضاً : — «فقال يسوع : لقد اعترفت لكم انني لست المسيا»

نقول ان المسيا في القرآن هو عيسى المسيح وان المسلمين انفسهم يسلمون بانه كذلك ولم يلقبوا نبيهم بالمسيا قط . ومع هذا فان «برنابا» يدعو يسوع كريستوس اي «المسيح» (انظر ص٣ العمود الاول) وهذا مما يدل على ان الكاتب كان يجهل العبرانية واليونانية — وليت شعري كيف لم يعلم «برنابا» تلميذ المسيح ان كلمة المسيح تعني المسيا ؟

تذييل

ان هذا الكتاب موضوع بقالب سيرة ليسوع المسيح بنسق تقليدي لبشائر الأنجيل الاربع . وهو يتضمن حوادث ومحاورات وآيات وعجائب وقعت منذ ولادة المسيح الى نهاية بعثته وفي هذه المحتويات امور غريبة جديرة بالاعتبار وهي:

(١) ان الكاتب كان واسع الاطلاع على تعاليم الديانة المسيحية وعلى الأنجيل الصحيح كما يظهر من خلال اقواله . وقد حذا في اوائل فصوله حذو البشيرين متى ولوقا ولكنه غير وأبدل وحذف وحرف حسب ما تراءى له

(٢) ان معرفة الكاتب بالقرآن أقل من معرفته بالانجيل. ولكن غايته ظاهرة ظهور الشمس في رائعة النهار ألا وهي ذم الديانة المسيحية والانتصار للديانة الاسلامية . ولاشك في انه لم يكن مسلماً في الاصل وان معرفته بالديانة الاسلامية كانت حاصل ما سمعه من اقوال الشراح والمفسرين وما علمه من الاحاديث والتقاليد والخرافات . ولقد توسع في بعض تعاليم

القرآن وزاد عليها حتى يصح ان يقال انه اصبح مسلماً اكثر من محمد نفسه. فهو يقول مثلا ان الذبيح كان اسمعيل لا اسحق مع ان القرآن نفسه لا يقول بذلك . وهذا يدلك على ان الكاتب كان مطلعاً على جدالات المفسرين المسلمين ومناقشاتهم في هذا الموضوع . ثم انه يقول جلياً ان المسيح لم يمت بل عوض عنه بيهوذا الاسخريوطي مع ان الاشارة الى هذا في القرآن نفسه غير واضحة وتحتمل تآويل كثيرة

ونرى من الجهة الاخرى ان المؤلف مندفع في حماسته للاسلام الى درجة قد يناقض معها القرآن كما بينا سالفاً

اذا علمت جميع ذلك لم يبقَ عندك شك في ان ملفق الكتاب رجل نصراني من اهالي العصور المتوسطة أسلم واخذ يقدح في النصرانية وينتصر للاسلامية . ولعله كان راهباً في الاصل كما يستدل من اشارات عديدة ولا يبعد ان يكون هو «فرامارينو» نفسه الذي لفق رواية سرقة الكتاب من مكتبة الفاتيكان

فالكتاب اذاً جدلي المبدإ فكاهي المبنى يدافع عن الديانة الاسلامية . ومهما تكن صفته فلا يسعنا الا ابداء الاسف

العظيم لاقدام مؤلفه على تحريف كتاب الله وتدنيسه . فكيف يتهمنا اذاً اخواننا المسلمون بتحريف اقوال الله وتبديلها ان كانوا يثقون باقوال هذا المؤلف الملفق ؟

اننا نجل عقلاء المسلمين عن مجاراة الكاتب وتصديقه. ولكنهم اذا عمدوا الى اتخاذ كتابه سلاحاً على النصارى فقد اخطأوا الى الله والانسان وشاركوا الملفق في جريمته واثمه لان المعتمد على شهادة الزور هو شاهد زور . والذي يوافق المحرف لكتاب الله يشاركه في تحريفه

فيا ايها المسلمون الاحباء احترسوا كيف تنظرون الى هذا الكتاب لئلا يكون خديعة وورطة لكم

احترسوا وترووا في الامر تجدوا ان الكتاب سيكون آلة لاثبات الانجيل الصحيح المحتوي على سيرة يسوع المسيح الحقيقية.

عسى ان يكشف الله اللثام فيرى الجميع الحق ويعرفوه انه تعالى قادر ان ينشيء من الظلام نوراً ومن الكذب حقاً




VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


Princeton University Library
32101 077809760